

عمليات مساعدة القوة الأمنية: تعريف لواء الاستشارة والمساعدة

العقيد فيليب بتاجليا، الجيش الأمريكي
المقدم كيرتس تيلور، الجيش الأمريكي

طبيعة هذه البيئة الجديدة ثم التكهن بالتعدلات المطلوبة للعقيدة العسكرية، والتكتيكات والعقلية هو التحدي البارز الذي يواجه قواتنا المنتشرة والأخذة في الانتشار. وفي معرض تعريفه لهذا التغير في العقلية، قال وزير الدفاع روبرت غيتس في خطاب ألقاه عام 2007 أمام قيادات الجيش، "يمكن القول، بأن أهم مكوّن عسكري في الحرب على الإرهاب لا يتمثل في القتال الذي نخوضه بأنفسنا، ولكن في مدى قدرتنا على تمكين شركائنا من الدفاع وحكم بلادهم. إن النهوض بالجيش والشرطة المحلية وتوجيهها - الذي كان ذات مرة مجال عمل القوات الخاصة - هو الآن مهمة رئيسية للقوات المسلحة ككل".¹

فيما تسلم القوات الأمريكية المسؤوليات الأمنية تدريجياً إلى الدولة المضيفة، لا يتمثل النجاح فيما نستطيع أن ننجزه بقدر ما يتمثل في قدرتنا على

أبدي الجيش الأمريكي على مدى السنوات الست الماضية، قدرة استثنائية على التكيف مع البيئة المتطورة في العراق، وفيما حوّل القتال من عمليات قتالية، إلى عملية مقتضبة لحفظ السلام، إلى مكافحة تقليدية للتمرد، كان على الجيش أن يكيّف تكتيكاته، وتركيبته، تكييفاً عميقاً والأهم من ذلك، عقليته إزاء كل مرحلة من العملية. لقد كان قصورنا على الدوام هو عجزنا عن التكيف بسرعة كافية أمام البيئة العملياتية المتغيرة. لقد عزز تنفيذ الاتفاقية الأمنية في كانون الثاني/يناير 2009 وما تلاها من الاتفاق على الخروج من المدن الرئيسية، المشاعر الوطنية لدى العراقيين ورجبتهم في التأكيد على سيادتهم. مرة أخرى، يمر الجيش الأمريكي بفترة يتحتم فيها عليه أن يكيّف عقليته على نحو يتسم بالسرعة واتساع الأفق من أجل الحفاظ على مكاسبه الأخيرة. إن فهم

يعمل المقدم كيرتس تيلور حالياً قائداً للواء الثالث، الفرقة 66 مدرعات في غرافينفور بألمانيا. خدم تيلور من تشرين الثاني/نوفمبر 2007 إلى آب/أغسطس 2009، كضابط عمليات في اللواء الرابع، الفرقة الأولى فرسان. ومن بين تكليفاته السابقة عمل كضابط عمليات وضابط تنفيذي باللواء الثاني، الفرقة الثامنة مشاة في شمال محافظة بابل في عام 2006. يحمل درجة البكالوريوس من الأكاديمية العسكرية الأمريكية وماجستير في الفنون والعلوم العسكرية من كلية القيادة والأركان العامة في ليفينويرث، كانزاس.

قائد العقيد فيليب بتاجليا، الجيش الأمريكي، اللواء الرابع بالفرقة الأولى فرسان من حزيران/يونيو 2007 إلى آب/أغسطس 2009. تم نشر لواء السكّين الطويلة في جنوبي العراق في حزيران/يونيو 2008 لدورة استمرت 12 شهراً لتدريب قوات الأمن العراقية وتوفير المشورة لها. كما قاد مشاة اللواء الأول، الفرقة الثامنة من 2001 إلى 2003 في فورت كارسون وبشمالي العراق. نال العقيد بتاجليا درجة البكالوريوس من الأكاديمية العسكرية الأمريكية ودرجتى الماجستير من جامعة نيويورك والجامعة الأمريكية.



صورة: الجيش الوطني العراقي، ماركس

صورة: مظلون أمريكيون مع الفريق القتالي باللواء الأول. الفرقة 82 المحمولة جواً، يشرحون نتائج تصويب النيران في ميدان لإطلاق النار في الأسد بالعراق، 25 آب/ أغسطس 2009. ويُعد اللواء أول لواء معزز تعزيراً كاملاً للاستشارة والمساعدة ينتشر في العراق لحساب مهمة مساعدة القوة الأمنية.

جميعها تحت "السيطرة الإقليمية للعراق" وبسبب التركيز البريطاني على البصرة، لم تر وجوداً يذكر لقوة التحالف خلال السنتين إلى الثلاث سنوات الماضية. كانت ميسان حديداً تعج بالعنف والفوضى. ونظراً للقيود السياسية والجغرافية الفريدة المفروضة على العمل عبر محافظات ثلاث في حزم جنوب كاليفورنيا تقرباً، انصب الجهد الرئيسي للوائنا منذ البداية على تحسين فعالية قوات الأمن العراقية التي كانت متواجدة بالفعل في المنطقة. كما ساعد عدم وجود نزاعات طائفية ملموسة في جنوبي العراق في جعل هذا الجهود مكنياً. من حيث الجوهر، بدأ الفريق القتالي للواء الرابع حملته التي استمرت 12 شهراً كقوة مساعدة للقوة الأمنية وحافظ على هذا التركيز طوال مدة انتشاره. وفي معرض أدائه لمهمة نموذج للواء الاستشارة والمساعدة، عقد الفريق القتالي للواء

تشجيع ودفعت شركائنا في الدولة المضيئة على إجازته. إن إطار عمل العقيدة العسكرية لهذا النوع من النهج هو "عمليات مساعدة القوة الأمنية". ويعرّف الكتيب الميداني 3-07.1 مساعدة القوة الأمنية بأنه العمل الموحد لتنشيط، وتوظيف، وتعزيز الدولة المضيئة، أو القوات الأمنية الإقليمية دعماً لسلطة شرعية. وتعرض هذه المقالة بعض الرؤى والدروس المستفادة من تجربة لواء أثناء قيامه بمهمة مساعدة لقوة أمنية في جنوبي العراق فيما بين 2008 و 2009.

في حزيران/ يونيو 2008، وصل الفريق القتالي باللواء الرابع، الفرقة الأولى فرسان، إلى قاعدة آدر للعمليات الطائرة في جنوبي العراق وتقلد المسؤولية عن منطقة عمليات مؤقتة شملت ثلاث محافظات كانت تسيطر عليها القوات البريطانية من قبل: المثني، وذي قار، وميسان. كانت المحافظات الثلاث

إن من بين التحذيرات المهمة التي يجب أن نتذكرها هو أن هذه تجربة واحدة للفريق القتالي باللواء في ركن واحد من العراق ولفترة وجيزة ومتطورة من التاريخ. ونظراً لغياب عنف طائفي في جنوبي العراق. استطلعنا أن نعتد على قوات الأمن العراقية في تأمين السكان بوسائل ربما لا يمكن تطبيقها في بغداد. أو الموصل. أو قندهار. مع أخذ ذلك في الاعتبار. قمنا بتسجيل 16 مبدئاً. استقيناها على مدى سنة من العمليات نعرضها للمساعدة في تعريف البيئة الجديدة لتدريب الوحدات على هذه المهمة الفريدة.

1. إن لواء الاستشارة والمساعدة مهمة. وليس قائمة معدلة بالتنظيمات والمعدات. 2.

إن التصميم النموذجي للفريق القتالي باللواء عمره ست سنوات وأظهر نجاحه في حربين وفي كل

الرابع شراكات مع الفرقة العاشرة للجيش العراقي وألويتها الأربعة للمناورة. وثلاث قوات شرطة إقليمية. واللواء الحادي عشر لمديرية حرس الحدود العراقية. وبمرور الوقت. قام 14 فريقاً انتقالياً خارجياً بتعزيز الفريق القتالي باللواء الرابع. مما عزز قدرتنا بدرجة كبيرة على عقد شراكة مع قوات الأمن العراقية.

سرعان ما اكتشف قادة الفريق أن مساعدة القوة الأمنية تحتاج إلى عقلية وتركيز مختلفين عن مهمة مكافحة التمرد لدورات العمل السابقة. لم يعد باستطاعتنا تعريف نجاحنا بعدد المتمردين الذين اعتقلناهم أو بإحساس السكان المحليين بالأمن. إن جودة القوات الأمنية للدولة المضيئة التي تركناها وراءنا. هي بالأحرى. التي حددت في نهاية الأمر نجاح حملتنا. لقد تعلم اللواء الكثير من الدروس الشاقة لدى قيامه بهذه العمليات في جنوبي العراق.



صورة الجيش الأمريكي التقطها الرائد ستيف كارول

العقيد محمد عبد الواحد يوجه تعليمات بشأن التخطيط لأركانه وأركان الفريق القتالي باللواء الرابع. الفرقة الأولى فرسان. في معسكر ذي قار بالقرب من الناصرية. العراق. 20 أيلول / سبتمبر 2010.

بالتدريب بكل أطيافه. ويتطلب تخطيط. وتدريب. وتنفيذ هذه التدريبات المعقدة بالنيران الحية كل جزء من الخبرة التكتيكية والتقنية التي يمكن أن يستعين بها اللواء الثاني بالفرقة السابعة فرسان. وضع كبار المدفعية المخططات السطحية لمنطقة الخطر بينما أخذ ضباط أركان الكتيبة في مراجعة قوائم

لا يسعك في البيئة الأمنية، أن تدرّس ما لا تعرف.

التنفيذ كما لو كانوا يجهزون لاختراق بالنيران الحية لوائي درينكووتر في المركز الوطني للتدريب. اختبرت هذه التدريبات بالكامل كفاءة الكتيبة والفريق القتالي باللواء في نشاطات العمليات القتالية الكبرى الأساسية الواردة في قائمة الأعمال الضرورية للمهمة. وكان الدرس المستفاد أن علينا أن نحافظ على قدرتنا على أداء العمليات بكافة جوانبها. إذ لا يسعك في البيئة الأمنية أن تدرّس ما لا تعرف. وفيما تزداد القوات العراقية نضجا، تقوم باطراد بأداء كل من عمليات أمن السكان وعمليات الردع التقليدية. ويتعين على القوات الأمريكية التي تدرّب هذه القوات أن تتحلّى بالكفاءة في كل جوانب العمليات من أجل أداء مهمتها الأمنية بفعالية ولتكون مستعدة للانتقال إلى العمليات القتالية الرئيسية إذا ما تغيرت البيئة العملياتية على نحو غير متوقع.

3. فهم بيروقراطية الأمن العراقي أمر ضروري.

تتمثل المهمة الحاسمة خلال عمليات مساعدة القوة الأمنية في تطوير البنية التحتية الأمنية للدولة المضيفة. وتشكل هذه البنية التحتية

أشكال العمليات القتالية تقريبا. ويتسم تنظيم الفريق القتالي باللواء بالرشاقة والمرونة على نحو يوفر حصيلة متنوعة من المهارات التكميلية، والأسلحة، والمنظّمات التي يمكن أن يستعين بها القائد ويقوم بتكييفها لمهام محددة. وقد بيّنت تجربتنا في جنوبي العراق أن نموذج الفريق القتالي باللواء هو التنظيم الصحيح لتشكيل محور عمليات مساعدة القوة الأمنية في العراق. وباستطاعة هذا التنظيم، لدى تعزيزه بقدرات استشارية على المستوى الرفيع، أن يقوم في آن واحد بتدريب وتوجيه تشكيلات كبيرة للدولة المضيفة بينما يحمي نفسه ويكتفي ذاتيا في أرض معادية. إن المرونة المتأصلة في الفريق القتالي باللواء تسمح له بالتحول من عمليات أمنية إلى مكافحة التمرد إلى قتال رئيسي مع تطور البيئة أثناء عملية الانتشار. ونحن نعتقد أن المناقشات لتطوير هيكل قوة استشارية مصمم تصميمًا خاصًا ليحل محل الفريق القتالي للواء تسير في الاتجاه الخطأ. فمع التركيز التدريبي الملائم وتعزيز أدوات التمكين، فإن هيكل الفريق القتالي باللواء ينطوي على مرونة متأصلة لأداء أي مهمة يُكلف بها. ولا حاجة لإعادة تصميم هيكل القوة بأسره.

2. تحتاج مساعدة القوة الأمنية إلى كفاءة تكتيكية بكافة جوانبها.

في نيسان/ إبريل 2009، قام اللواء الثاني بالفرقة السابعة فرسان بتدريبات مشتركة على النيران الحية مع عناصر مشاركة من الفرقة 38 بالجيش العراقي. واستخدمت هذه التدريبات مروحيات عراقية، ومدفعية، وقوات راكبة وراجلة مع مشاركة متزامنة من سلاح الطيران وقوات الجيش الجوية في هجوم بالنيران الحية. وكان الهدف من هذه التدريبات إظهار القوة الرادعة المتزايدة للجيش العراقي وزيادة الاهتمام

المستقبل. ولحسن الحظ، تحسنت العلاقات بعد فترة قصيرة من الزمن. وأدركنا أهمية العلاقة الإيجابية مع قادة قوات الأمن العراقية. وبدون تلك العلاقة القوية، كنا قد عجزنا عن استكمال مهمتنا. كانت تلك العلاقات هي مركز الثقل التكتيكي بالنسبة لنا. وكثيراً ما كنا نُسأل في مقابلات معنا بعد الانتشار، "ما هو الوقت الذي استغرقتموه في بناء العلاقة؟" وهو سؤال يوحي بأن "بناء العلاقة" مجرد إلهاء أو، في أفضل الأحوال، مهمة حاسمة للتدبير المنزلي. إن بناء العلاقة في عمليات مساعدة القوة الأمنية هي بمثابة مهمة فعلا. وأتمن مساهمة للقائد لوحده هو بناء علاقة ثقة متبادلة مثمرة مع نظيره في الدولة المضيفة، لأنها قوام شراكة الوحدة.

- دورة تدريب قادة السرايا
- دورة تدريب المدربين على إنقاذ الحياة أثناء القتال
- التدريب على الرماية بالنيران
- التدريب على التخلص من القنابل
- التدريب على مدافع الهاون
- أكاديمية تطهير الطرق
- أكاديمية البناء الرأسي
- دورة تدريبية حول الاستخبارات البشرية
- التدريب على التمييز في أعمال القلاع الحدودية
- التدريب على فحص السيارات عند نقاط التفتيش
- تدريب محقق الشرطة
- دورة تدريبية حول أدلة الطب الشرعي
- التدريب على الصيانة
- التدريب على عمليات الحازن

الشكل 1. بعض الدورات التدريبية التي نفذها الفريق القتالي باللواء الرابع كجزء من عمليات مساعدة القوة الأمنية.

التضاريس النظرية التي ستؤدي القوات الأمريكية عملياتها داخلها. إن فهم بيروقراطية أمن الدولة المضيفة بالتفصيل مهم لنجاح المهمة بقدر ما هو مهم لمعرفة التضاريس في العمليات القتالية التقليدية. فقد توسعت بيروقراطية الأمن العراقية بسرعة على مدى السنوات الست الماضية، دون أن يواكب الجيش الأمريكي التغييرات. ويُعد الإطلاع على مطبوعات أكاديمية فينكس وأحدث مطبوعات لمركز الجيش للدروس المستفادة حول هياكل القوات العراقية والأفغانية، خطوة جيدة أولى. ولكننا نحتاج إلى مزيد من المعلومات التفصيلية والحالية. لقد ناضلنا من أجل تعلم العلاقات المركبة بين كيانات مثل الشرطة الإقليمية العراقية، والشرطة الوطنية، وقوات الحدود، ومديرية شرطة حماية الموانئ، والاستخبارات الوطنية، وما شابه. وفي إطار علاقات الجيش العراقي، كان على خبرائنا اللوجستيين المكلفين بتدريس عمليات اكتفاء ذاتي فعالة أن يفهموا مع استمرار عملهم كيف يعمل النظام العراقي. إن تدريس عملية مركزية أمريكية لا يساعد قوات الدولة المضيفة. ويتعين على الوحدات المشاركة في التدريب التي تؤدي هذه المهام أن تتعلم أكبر قدر ممكن عن أنظمة وعمليات الدولة المضيفة قبل الانتشار. وباستطاعة الفرق الانتقالية المرافقة أن تساعد في هذا الجهود بتوفير أحدث ما لديها من معلومات راهنة.

4. العلاقات مع كبار القادة هي مركز الثقل التكتيكي في عمليات مساعدة القوة الأمنية.

في أيار/مايو 2009، حظي حادث مؤسف لمقتل عراقي خلال العمليات القتالية الأمريكية في محافظة مجاورة بتغطية إعلامية واسعة وأثار قدراً كبيراً من العداء ضد قوات التحالف. وفي الحال امتنع شركاؤنا الذين عملنا معهم على نحو وثيق لعدة أشهر عن دعم أي تدريب أو عمليات موحدة في

5. الفرق الانتقالية والوحدات الشريكة لديهما أدوار دعم تكاملية ومتبادلة.

أفضل مستشار لن يحتفظ بنفوذه طويلاً إذا اعتمد فقط على قيمة مشورته الحكيمة. ويُعد قادة القوة الأمنية للدولة المضيئة مراقبين فطنين وسرعان ما يدركون أن كلاً من الموارد والقوة تنساب عبر التسلسل القيادي للمناورة البرية. وللاحتفاظ بمصداقيته وأهميته، يجب على المستشار أن يظهر أنه يرتبط بعلاقة وثيقة يُعتمد عليها مع قائد المناورة. لهذا السبب، قمنا بإلحاق الفرق الانتقالية العسكرية للوحدات العراقية مباشرة بكتائب المناورة المسؤولة عن تلك الألوية. ولم يمنح هذا قائد الكتيبة سيطرة مباشرة على مهمته الرئيسية وحسب، وإنما أزال أيضاً التسلسل المتكرر للقيادة. وكما هو متوقع، أولى قادة الكتيبة عناية كبيرة بالفرق التابعة لهم وقاموا بدمجها في مهمتهم لمساعدة القوة الأمنية. وقد نُحِت هذه العلاقة أيضاً لأن المستشارين على مستوى اللواء كانوا برتبة رائد وتناسب وضعهم تماماً داخل الهيكل الحالي للكتيبة.

7. الخطوة الأولى في كل تمرين على المعركة هي استدعاء القوات الأمنية للدولة المضيئة.

في 20 كانون الثاني/يناير 2009، أطلق المتمردون صاروخاً على قاعدة أدر للعمليات الطارئة. ورصد الرادار Q36 نقطة منشأ داخل منطقة حضرية كثيفة. أرسلنا على الفور دورية، وكانت عند الموقع في غضون 23 دقيقة. وفي غضون ساعتين، كنا قد استولينا على قضبان الصاروخ وقبضنا على مشبوه مدرج اسمه في قائمتنا بأكثر عشرة من الأعداء المطلوبين. وكان يمكن أن تكون هذه مهمة ناجحة بكل المعايير التقليدية، وما أثار الدهشة حقاً بشأن الحادث أنه لم تدخل المدينة أي قوات أمريكية. ففور سقوط الصاروخ قام العاملون في مركز العمليات التكتيكية باللواء بإرسال نتيجة الرصد الراداري Q36 فوراً إلى مركز قيادة موحدة في مركز التنسيق الإقليمي المشترك.

فيما انتقلنا إلى عمليات مساعدة القوة الأمنية، كثيراً ما كنا نسأل، "لو أن جميع القادة باللواء يؤدون واجباً استشارياً، ماذا يفعل الـ 4000 جندي الآخرين؟" والإجابة هي أن المستشار والوحدة المشاركة يؤديان أدواراً تكاملية وداعمة. (الشكل 1). وفيما أدمجنا فرقنا الانتقالية داخل تشكيلاتنا، باتت أهمية هذه الأدوار المنفصلة والداعمة جلية بالنسبة لنا. إن الجنود يؤدون واجبات استشارية على جميع المستويات. ويمضي المستشار وقتاً في مرافقة وحدة الدولة المضيئة، يراقب عملياتها وعملية صنع قرارات بها ويعرض المساعدة أو الخبرة إن دعت الحاجة. غير أن المستشار لا يملك حرية الاتصال بعناصر التمكين القتالي وليس لديه طاقم عاملين لتنظيم دورات تدريبية كبيرة أو لإظهار ما يجب أن يكون عليه شكل الصواب. فهذا هو دور الوحدة المشاركة. وفي أي يوم معين، كان لواءنا يدرب مئات الجنود أو يوجه شركاءنا في القوة الأمنية في كل مجال من المجالات الوظيفية للفريق القتالي باللواء. ويصور الشكل 1 بعض هذه الدورات التدريبية والواجبات اليومية للحماية والاكتفاء الذاتي التي يؤديها لواء يعمل عبر ثلاث قواعد عاملة أمامية وثمانية محطات للأمن المشترك. وكان هذا العمل أكثر من كاف لشغل جنود اللواء بالكامل كل يوم.

6. بالنسبة للمستشارين، الموهبة هي الأعظم في الأهمية، والقدرة على التواصل هي الثانية، والرتبة هي الثالثة.

إن معظمنا يقدر قيمة المستشارين الموهوبين والبارعين بالنسبة لمهمة مساعدة القوة الأمنية. ومع ذلك، كثيراً ما نغفل أهمية القدرة على التواصل. وللمحافظة على المصداقية والنفوذ، يجب على المستشار أن يظهر قدرته على إنتاج موارد. فحتى



مظليون أمريكيون مع الفريق القتالي باللواء الأول، الفرقة 82 المحمولة جواً، يعملون مع قوات الأمن العراقية في الأسد بالعراق. 25 آب / أغسطس 2009.

8. يبدأ الاستهداف الفعال بتقاسم المعلومات الاستخباراتية بين الدولة المضيضة والقوات الأمريكية.

كانت أول خطوة نحو تقاسم فعال للمعلومات الاستخباراتية هي التغلب على العقيدة المؤسسية التي تصنف جميع قوائم الأهداف ذات القيمة العالية على أنها "سرية للولايات المتحدة فقط". فإذا كانت شريكنا القوات الأمنية للدولة المضيضة ستصبح مسؤولة في نهاية الأمر عن الأمن في منطقة عمليات ما. عندئذ فإننا ملتزمون بأن نتقاسم معها جميع المعلومات المعقولة بشأن المجرمين العاملين في منطقتها. كان علينا أن ندرّب أنفسنا وقادتنا بسرعة على الحدود والقيود لعمليات الكشف الأجنبية. وقد اكتشفنا أنه بمقتضى الاتفاقية الأمنية، كان علينا أن نتقاسم المعلومات الاستخباراتية إن شئنا أن نكون

الذي أرسلها بدوره إلى الشرطة المحلية لاتخاذ اللازم. وكانت القوات العراقية في المدينة ذات قيادة جيدة ومتحفزة لمنع المتمردين من استخدام أحيائها كنقطة انطلاق للهجمات. وباستطاعتنا أن نعتمد عليها في أن تكون الذراع النشطة لعملياتنا. وأعربت القوات العراقية عن تقديرها لهذه الثقة، واكتشفنا أن باستطاعتنا تحقيق تأزر كبير بتوحيد قدراتنا التقنية والاستخباراتية (في هذه الحالة، الرادار المضاد للبيران) مع سرعة استجابتها وحدها الثقافي. وللبناء فوق هذا النجاح، أقام الفريق القتالي باللواء في نهاية المطاف ثلاثة مراكز قيادة موحدة داخل مقر قوات الأمن العراقية. وقد مكنتنا هذه المراكز من دمج المعلومات الاستخباراتية على وجه السرعة والحفاظة على الوعي بالمواقف للقوات العراقية والأمريكية.

هذه العملية. وبدلاً من ذلك، خلقنا الظروف للتعاون بين الهيئات الحكومية وحل المشاكل.

10. تمثل الاتفاقية الأمنية الرغبة العراقية في الكرامة والسيادة.

من الأهمية بمكان أن يفهم كل قائد السلطات القانونية والمحظورات الواردة في الاتفاقية الأمنية، ولكن هذا وحده لا يكفي. يتعين على القادة أن يفهموا ويقدموا مغزى الاتفاقية بالنسبة للسكان المحليين. إن الاتفاقية الأمنية تعيد الكرامة للشعب العراقي. فهي تفرض قيوداً على ما يستطيع جيش أجنبي أن يفعله بالعراقيين على أرضهم. ولهذا أثر نفسي بالغ الأهمية. وطالما أننا نتمثل بالاتفاقية بالكامل، فإن الشعب العراقي سينظر إلينا باعتبارنا قوة حامية وعاملاً للاستقرار وليس كخطر يتهدد شرفهم وكرامتهم. وهذا هو السبب في أنه ولئن كانت الغارات الأحادية، ذات التوقيت الحساس، ناجحة بدرجة كبيرة على المدى القصير، فإنها كثيراً ما تتسبب في انتكاسات على المدى الطويل. وكثيراً ما يكون الامتثال الشكلي غير كاف، إذ يجب أن يرانا السكان المحليون ويسمعونا ونحن نشير إلى سلطة وروح هذه الاتفاقية. وكمثال على ذلك، اكتشف القادة في الكتيبة أن ضابط شرطة عراقياً متوسط الرتبة طلب من المحكمة العراقية الجنائية المركزية أن تصدر بحقه أمر اعتقال لقتله جنوداً بريطانيين عام 2003. فبمقتضى الاتفاقية الأمنية، كان في نطاق سلطتنا اعتقال الضابط ونقله إلى بغداد لمحاكمته. وعندما عرضنا أمر الاعتقال على رئيس الشرطة المحلية، اقترح تعيين مرافق يسافر مع قواتنا والضباط إلى بغداد لتسليمه إلى المحكمة العراقية. بهذه الطريقة، لم يكن لأي قوة أمريكية مطلقاً حق الحجز القضائي بمفردها على المشتبه فيه. وسمحت هذه العملية لرئيس الشرطة بأن يبدي التزامه بحكم القانون دون أن يتعرض للاهانة جراء لقاء جيش أجنبي القبض على ضابطه.

فعالين ومهمين. وقد مكنتنا عمليات فحص الخلفيات وأجهزة كشف الكذب لعدد مختار من كبار الزعماء داخل قوات الأمن العراقية من إطلاع أولئك الزعماء على بعض المواد السرية ونشر تلك المواد في آن واحد. وكان علينا أن ننتقل من نموذج استهداف جمع القوات الأمريكية وقوات الدولة المضيفة بعضها ببعض خلال المرحلة العملية فقط (العمليات الموحدة) إلى نموذج أتاح لنا مرافقة عملية الاستهداف لقوات الأمن العراقية بدءاً بالتطور الاستخباراتي المبدئي وانتهاء بعمليات الأسر والاستغلال، والمحاكمة (الاستهداف الموحد).

9. كثيراً ما تكون القوات الأمريكية بمثابة الغراء الذي يلصق الدولة المضيفة والهيئات الحكومية بعضها ببعض.

فيما اقتربت الانتخابات العراقية في كانون الثاني/يناير 2009، كان لزاماً على الشعب العراقي أن يرى قواته الأمنية وهي تقيم تدابير الأمن للانتخابات، وباعت محاولتنا الأولى لفحص الاستعدادات الأمنية عند مراكز الاقتراع بفشل ذريع، وبات جلياً لنا أن المركبات العالية الحركة والمتعددة الأغراض والدروع الحامية للبدن جاءت بنتائج عسكرية بالقرب من كبائن الاقتراع أو مستودعات الأصوات. ومع ذلك، تمكنا من تقديم إسهام كبير كوسيط نزيه يجمع بين الهيئات الحكومية وفرق إعادة البناء الإقليمي. وبدلاً من تفتيش مراكز الاقتراع، استضافنا اجتماعاً كل أسبوعين شاركت فيه كل الهيئات المشاركة من الجيش العراقي إلى الشرطة إلى ممثلي اللجنة العراقية العليا للانتخابات وفرق إعادة البناء الإقليمي وخبراء في حكم القانون والحكم المحلي. وأخيراً، بالتعاون ثم سمحنا بالكشف عن العملية حسب رغبة العراقيين. بهذه الطريقة، اكتشفنا وضعنا الفريد كعنصر تماسك في عملية التواصل بين الهيئات الحكومية للدولة المضيفة. لم نفرض حلولاً أمريكية في

12. ما من دولة تريد أن ترى أجناب يعتقلون مواطنيها.

توفر الاتفاقية الأمنية إجراء يتيح للقوات الأمريكية احتجاز مواطنين عراقيين في ظل ظروف معينة. غير أن خبرتنا كشفت عن وجود فارق كبير بين ما كان مصرحاً به قانونياً وما كان ملائماً من الناحية التكتيكية والثقافية. وبصرف النظر عن السلطة القضائية التي نحفظ بها. فإن معظم العراقيين فهموا الاتفاقية الأمنية على أنها تعني أنه لم يعد بوسع الأجناب إلقاء القبض عليهم. فقد كان يُنظر إلى اعتقال مواطن عراقي من طرف واحد على أنه إهانة. فقد وجدنا أنه كان من الممكن عادة الاستعانة بمساعدة وحدة أمن محلية تابعة للدولة المضيفة للقيام بعملية الاعتقال ثم تسليم المعتقل إلى مركز اعتقال عراقي حيث كنا نتمتع بعلاقة وطيدة ودرجة من القدرة على التواصل والإشراف. عندئذ أصبحت سجون الدولة المضيفة مسؤوليتنا الرئيسية. وهي المكان الذي كثيراً ما قمنا فيه بجمع قدر كبير من المعلومات الاستخباراتية. وتتباين كفاءة وتوفر قضاة التحقيق العراقيين بدرجة كبيرة من موقع لآخر. ولكن معظم قضاة التحقيق كانوا أكثر رغبة في توقيع عقوبات طويلة على المجرمين العراقيين عندما بدا أن احتجاجهم ومقاضاتهم عملية يقودها العراقيون بدلاً من عملية يقودها الأمريكيون. وبينما وفرنا دعماً كبيراً لمُحقي الدولة المضيفة أثناء تجميعهم لقضاياهم. كان من المهم أن تقود الدولة المضيفة المسألة وأن يظل المُحتجز تحت سيطرة الدولة المضيفة طوال فترة محاكمته. وكثيراً ما قوض وجود "بصمات أصابع" أمريكية كثيرة في القضية مصداقية العملية وأدى إلى حكم مخفف.

13. عليك بالاستغلال السريع للمكون المعلوماتي لأعمال العدو والصدى.

يقلل الغربيون من شأن سلطة الكلمة المنطوقة

11. تمثل العملية القضائية للدولة المضيفة المكون الجوهري للاستهداف.

على مدى السنوات الست الماضية، قمنا ببناء هيكل هندسي استثنائي للاستخبارات في العراق. واستحدثنا. من خلال فريق دعم للسرايا إلى خلايا انصهار على مستوى الفرق والفيالق. عملية لتفاسم المعلومات الاستخباراتية كانت بعيدة عنا سنوات ضوئية عما كنا عليه عام 2003. ومع ذلك، فإن الاتفاقية الأمنية ونهوض جهاز قانوني مستقل فرضاً إعادة تصميم أساسية لهذا النظام. وفي حين أن الاستخبارات الجيدة ضرورية للتكهن بأعمال العدو وإجهاضها. فهي غالباً ما تكون غير كافية لإزاحة عنصر معاد من ميدان القتال. ونحن في بيئة اليوم. أحوج ما نكون لما هو أكثر من مجرد استخبارات جيدة. نحن في حاجة إلى أدلة. فالتقارير السرية للمصادر ليست كافية لاستصدار أمر اعتقال. بل يجب على المصدر أن يمثل بنفسه أمام قاض عراقي ويدلي بإفادة تحت القسم تكون مقبولة للمحكمة العراقية. ويجب على ضباط المخابرات والاستهداف الآن أن يكونوا أكثر إلماماً بمواد القوانين العراقية لمكافحة الإرهاب. ويتعين على القادة أن يفهموا الفرق بين النظام القضائي للتحقيق المعمول به في الشرق. وبين نظام الخصومة الشائع لدى معظم الدول الغربية. وللمساعدة في إدارة عملية الانتقال هذه. استعنا على نحو مكثف برجال أمن ملحقين بالفريق القتالي باللواء. فهؤلاء الضباط المتمرسون الذين يحملون أكثر من 100 سنة من الخبرات المشتركة في تطبيق القانون والإدعاء. كانوا بمثابة رصيذ هائل بالنسبة لضباط المخابرات الذين كانوا يحاولون تجميع قضايا متعلقة بمشبهوهين على مستوى قضايا النائب العام في نفس الوقت الذي يحاولون فيه التكهن أيضاً بهجوم صاروخي في اليوم التالي. كل ذلك بمجهود طاقم زهيد من خمسة أفراد.

العنف الطائفي والفوضى بتمزيق أوصال العراق. وفيما تتحسن الظروف الأمنية وتظهر قوات الدولة المضيفة قدرات متزايدة، علينا أن نتوقع تصاعد العداء والاستياء من العمليات الأحادية للقوات الأمريكية. وبينما قد تقتضي الظروف التكتيكية في بعض الأحيان القيام بعمل عنيف ضد قوة معادية، فإن هذا العمل عادة ما يأتي بنتائج عكسية بالنسبة للنجاح على المدى الطويل ويمكن أن يقوّض أهداف حملة مساعدة القوة الأمنية.

15. الجبان عدو أفضل من الشهيد.

إن المتمرّد الذي يفر من منطقة عملياتية سعياً إلى ملاذ في مكان آخر إنما يجعل من قضيته أضحوكة ويزيد حرية المناورة أمام قوة مكافحة التمرد. وعندما يختبئ في ملاذه، يصبح المتمرّد غير قادر مرة أخرى على التنافس من أجل كسب دعم السكان ويفقد أهميته بالنسبة للصراع. وعلى الجانب الآخر، كثيراً ما يحقق متمرّد قتل أو معتقل وضع الشهيد وهذا يشجع على زيادة العنف دعماً لقضيته، لا سيما إذا قضى مصيره على أيدي قوة خارجية.

يجب ألا يكون هدفنا هو أسر أو قتل العدو، بل يجب أن نقضي على أهمية العدو بأي وسيلة متاحة. وتساعد اللوحات الإعلانية، وملصقات المطلوبين للعدالة، وعمليات المعلومات المستهدفة في رسم صورة للمتمرّد كمجرّم هارب بدلاً من زعيم قضية نبيلة. والأهم من ذلك، أن تصوير المتمرّد على نحو فعّال كهارب من قوات الأمن المحلية يمكن أن يجعله عدواً لشعبه.

16. التعاطف يضاعف من القتال.

ربما كان أفضل تدريب قبل الانتشار هو الجلوس بعد ظهر يوم مع مواطن رصين من ثقافة مختلفة، إن خطابنا

في تشكيل عقول سكان الدولة المضيفة. فالشائعات تسافر مئات الأميال في ساعات من خلال كلمة تنفوه بها الشفاه وهاتف جوال. ويمكن لنظريات مؤامرة شاذة وغير قابلة للتصديق أن تتغذى على ذريعة أبعد ما تكون عن الاحتمال وتنتشر عبر محافظة بعد ظهر يوم ما. ويجب على قواتنا أن تدلي باطراد وسرعة بروايتها الخاصة عن طريق كل وسيلة متاحة، بما في ذلك قوات ووسائل إعلام الدولة المضيفة. إن كل شيء يرجح أن يولد "طيننا" في المجتمع المحلي، من افتتاح مدرسة إلى هجوم جوي إلى هجوم للعدو بالصواريخ. يتطلب شن حملة معلوماتية فورية لشرح ما حدث لتوه ولماذا. وكثيراً ما تكون أفضل "نيران مضادة" هي نشرة صحفية توزع في حينها. علينا أن نتواصل مع وسائل إعلام الدولة المضيفة، والمواقع المحلية على شبكة الانترنت، وضباط الشؤون العامة في قوات الأمن المحلية، وأي وسيلة بارزة أخرى لصناعة الرأي العام. يجب أن تكون هذه الوسائل على "قائمتنا القصيرة" التي نتصل بها أثناء أي أزمة.

14. إن قتل متمرّد، وإن كان ضرورياً أحياناً، عادة ما تكون له نتائج عكسية.

كثيراً ما يكون قتل مقاتلين للعدو مكوناً ضرورياً من الحرب القتالية وصنع السلام عندما تعجز قوات الأمن المحلية عن حفظ النظام. غير أنه حين تصبح القوات المحلية أكثر قدرة، فإن القيمة التكتيكية لقتل مقاتل للعدو تنخفض بشدة. وفي بيئة مساعدة قوة أمنية، يتمثل دور القوة الاستثنائية في تمكين قوات الدولة المضيفة من تأمين سكانها وهزيمة المتمرّدين. وكل مرة تقتل فيها القوات الأمريكية متمرّداً محلياً، بصرف النظر عن الظروف، فإننا نفاقم جرحاً عميقاً غالباً ما يؤدي إلى الثأر ومزيد من العنف في نهاية المطاف. كان قتل المتمرّدين واقعاً ضرورياً عندما هدد

مساعدة القوة الأمنية مهمة مختلفة اختلافاً جذرياً عن العمليات التقليدية لمكافحة التمرد وتتطلب تغييراً في العقلية، والتركيز، والنهج. فالمكافحة التقليدية للتمرد تجعل أمن السكان هدفها البارز، وتسعى مساعدة القوة الأمنية إلى نفس الغاية ولكنها تركز بدلاً من ذلك على تمكين القوات الأمنية للدولة المضيفة من تحقيق الأمن. وفي الحالات التي تفتقر فيها القوات المحلية للقدرة أو الدافع لتوفير أمن أساسي، عندئذ يكون من الملائم انتهاج أسلوب تقليدي أكثر لمكافحة التمرد.

إن التحدي المائل اليوم هو أن يفهم القادة التضاريس البشرية في المناطق المكلفين بالعمل فيها فهماً جيداً يكفي لاستخلاص النهج المناسب. وإذا استدعت الظروف التركيز على عمليات مساعدة القوة الأمنية، فإن المقياس الرئيسي للنجاح لن يتمثل عندئذ في المجرمين الذين تم اعتقالهم أو الشبكات التي جرى تعطيلها. وبالنسبة لعمليات مساعدة القوة الأمنية، فالوسيلة الحقيقية الوحيدة التي تقيس بها نجاحك هي مدى جودة وقدرة قوات الأمن للدولة المضيفة التي تركتها وراءك. ميليتاري ريفيو

ملاحظات هامشية

1. أخذت من خطاب لوزير الدفاع غيتس أمام مؤتمر الجيش الأمريكي 2007 في 10 تشرين الأول/أكتوبر 2007، وحسب ما اقتبسه فريد كابلان في "الوزير غيتس يعلن الحرب على كبار قادة الجيش"، مجلة سليت، 12 تشرين الأول/أكتوبر 2007.
2. هذا المبدأ هو اقتباس مباشر من الفريق تشارلز إيتش. جاكوبي، الابن، قائد الفيلق الأول وقائد حلف شمال الأطلسي -MNC خلال إيجاز بشأن العمليات والاستخبارات قدمه المؤلفان في قاعدة غاري أوبن للعمليات الأمامية، محافظة ميسان، في نيسان/إبريل 2009.

الغربي قد عزلنا على نحو جعلنا نفشل في رؤية الكيفية التي تنظر بها ثقافات أخرى للأحداث، فهم لا يرون الأحداث على نحو مختلف وحسب، وإنما كثيراً ما يسعى شركاؤنا في الدولة المضيفة إلى أهداف، واستراتيجيات، ومقاربات يمكن أن تحير حتى أكثر المستشارين تناغمًا من الناحية الثقافية.

إننا في الجيش الأمريكي محظوظون لأننا نعيش في محيط استحقاق نسبي حيث يمكننا أن نتوقع على نحو معقول أن يؤدي نجاح وحدتنا أو مهمتنا إلى نجاحنا الشخصي والمهني. وهذه ليست هي الحال في كثير من الثقافات الأخرى - لا سيما في الشرق الأوسط. فالولاء الشخصي والمحسوبية عاملان هائلان في هذه المجتمعات، وهما يشكلان سلوك القادة على نفس النحو الذي حرك به عقلية المهمة أولاً في جيشنا سلوكنا. ولكي نفهم ونؤثر على سلوك أولئك القادة، علينا أن نفهم أولاً كيف ينظرون إلى الأحداث وكيف يحسبون احتمالاتهم الخاصة للنجاح. وبدون هذه الرؤية العميقة، غالباً ما نصارع كي نفهم ما لا نستطيع أن نفهمه، إن التقمص العاطفي، أي القدرة على رؤية وفهم العالم من خلال عيون الآخر، ربما كان أعظم مهارة يمكن أن يجنيها القائد في بيئة مساعدة القوة الأمنية.

الخلاصة

تعرض الرؤى الـ 16 التي سجلناها أعلاه منظوراً للخصائص الفريدة لعمليات مساعدة القوة الأمنية من واقع خبرة فريق قتالي واحد باللواء، في ركن واحد من أركان العراق، لسنة قصيرة واحدة. وكما اكتشفنا، فإن

Security Force Assistance Operations: Defining the Advise and Assist Brigade

Colonel Philip Battaglia, U.S. Army

Lieutenant Colonel Curtis Taylor, U.S. Army

Originally published in the English July-August 2010 Edition.